يوسف الصديق عليه السلام

معجزات يوسف:

1 - نطق ابن أخت زليخة وهو ابن 19 يوما.

عندما اختاره يوسف أن يكون حكما فى قضيته مع زليخة وأم الغلام أخت زليخة للأب وكانت وصيفة فى القصر فكان الغلام بقدرة الواحد الأحد شاهد النفى الوحيد فى القضية أنطقه الله عز وجل فشهد ببراعة فائقة وذكاء مقطوع النظير:{شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ}.

2 - صدق تعبيره للرؤيا وهكذا عناية الله عز شأنه بالأنساء.

يوسف الصديق

قال تعالى فى كتابه الكريم يصف قصة يوسف:{نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ} (1).

كان يوسف عليه السلام الابن الثانى عشر ليعقوب، فكان أصغرهم سنا وأجملهم طلعة وأكثرهم لياقة وعزة، وقد لقب بالصديق لصدقه، وكان عرضة لحسد إخوانه وذلك بسبب حب أبيه له وقد أظهروا كرههم له لمرات عديدة وبصراحة أمام والدهم.

وكان من اهتمام يعقوب به أنه كان يشترى له الهدايا فيوما يهدى له قميصا ويوما نطاقا وآخر أهدى له عصاه الخاصة فكان يلعب بها ويفتخر على إخوانه بأن أباه يحبه كثيرا، وعندما كان أولاد يعقوب يسألون أباهم عن سر هذا الاهتمام بيوسف كان يجيبهم: أنا أحب كل أولادى ولأن يوسف أصغركم سنا وأصدقكم قولا ولا يقوم بأى عمل بدون استشارتى وكذلك حبه للعلم فقد حفظ كل صحف إبراهيم فى حين أنكم لم تقرأوا أى كتاب، ويوسف يعبد الله كثيرا ولذلك أحب أن أشجعه على القيام بالأعمال الحسنة، وعندما كنتم صغارا فقد كنت أحبكم مثل هذه المحبة، ويجب عليكم أن تعطفوا على أخيكم الصغير فكانوا يذعنون لكلامه ظاهرا ويضمرون الحسد والحقد له باطنا.

وفى ليلة حيث كان يوسف نائما انتفض من نومه وكان قلقا

(1) سورة يوسف، الآية: 3.

وأوصاله ترتعش فأخذ إخوانه يهدئونه ويستفسرون منه عما حدث؟

فقال لهم: لقد رأيت مناما بأن عصا أبى صارت شجرة فى يدي، وقد أثمرت والكل كان يأكل من ثمارها، فضحك إخوانه منه وقالوا: إنها أضغاث أحلام، وأخبروا أباهم بأن يوسف يرى أحلاما كاذبة، وتهامسوا فيما بينهم بأن يوسف يدعى أمورا كبيرة يقصد بها تحقيرنا، ومرة أخرى رأى يوسف فى المنام أحد عشر كوكبا والشمس والقمر ساجدين له، وعندما استيقظ قص على أبيه ما رأى فى المنام. فقال له يعقوب: يا بنى إن هذا المنام له تعبير عظيم وسوف تصبح حاكما وسيدا على الناس والنجوم الأحد عشر إخوانك والشمس والقمر أمك وأبيك الذين يفتخرون بك وأرجو أن لا تقصص رؤياك على اخوتك حتى لا يناصبوك العداوة.

قال تعالى فى كتابه الكريم يصور هذا: **{إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ * قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ}** (1).

ولكن يوسف قص رؤياه على خالته التى أخبرت بدورها إخوانه بهذه الرؤيا، فأخذ بالتشاور بينهم بأن يوسف سيصبح غدا سيدا علينا ويجب الإسراع بالقضاء عليه، ولكنهم كانوا لم يجرأوا

(1) سورة يوسف الآيتان: 4، 5.

على إبراز ما يكنون على مسمع من يعقوب لأنه كان زعيم كنعان وأمره نافذ على الجميع وسخطه عليهم يكلفهم ثمنا باهظا ولكنهم رغم ذلك فقد وضعوا له مخططا لإيقاع الأذى به.

قال تعالى فى كتابه المجيد يصور ذلك:{لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ * إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ * اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ} (1).

ويوما جاؤوا أباهم وقالوا له: اسمح لنا أن نأخذ يوسف معنا لنرتع ونلعب ولكى يكتسب التجارب ويتعلم الرعى والزراعة.

فقال لهم يعقوب: أخاف أن تغفلوا عنه ويأكله الذئب أو يسقط فى البئر.

فقالوا له: يا أبانا سوف نحافظ عليه لأنه أخونا وعزيزنا، وقد كان يوسف راغبا فى الذهاب ولم يستطع يعقوب أن يقف أمام رغبته فسمح له بالذهاب معهم وأوصاهم بالحفاظ عليه، فحملوه على أكتافهم وذهبوا إلى المرعى، وعندما ابتعدوا عن المدينة غيروا تعاملهم معه فأنزلوه من على أكتافهم وبلهجة خشنة قالوا له: نحن لسنا بمطية حتى نحملك على أكتافنا.

وعندما اشتكى لهم عطشه قالوا له: نحن اليوم صائمون أركز عصاك فى الأرض لتصير شجرة مثمرة، وأخذوا يستهزئون

(1) سورة يوسف الآيات: 7 - 9.

بـه ويؤذونـه بقـولهم: لعلـك تريـد أن نسـجد لـك؟ وأخـذوا يؤذونـه ويقسون عليه، وعندما كان يحتمى بأحدهم يضربه بشكل أظهروا حقدهم بصورة علنية وقاسية، ووصل الحد إلى أن أحدهم وهو الأكثر حقدا على يوسف قال: يجب أن نقتله.

فأجابـه الآخـرون: نحـن لا نتحمـل وزر مثـل هـذه الجريمـة فنكون مثل قابيل فنشقى فى حياتنا وبعد موتنا. واقترح أحدهم أن يلقوه فى البئر وليكن ما يكون واتفق الجميع على هذا الرأى.

قال تعالى فى وصف هذا المشهد فى كتابه الكريم:

{قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ * قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ * أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ * قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُواْ بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ * قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ * فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ وَأَجْمَعُواْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ} (1).

لقد أنزل الله تعالى فى يوسف سورة فى كتابه الكريم يوضح لنا فيها عما اختص الله تعالى بـه عبده يوسف الصديق من بلائه وحباه من مواهبه ونعمائه وأعطاه ما لم يعط غيره من النبيين وامتحنه بما لم يمتحن به غيره من الصديقين فقال سبحانه فى سورة يوسف مخاطبا حبيبه المصطفى ﷺ: **{نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا**

(1) سورة يوسف الآيات 10- 15.

الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ}.

وذلك لأن قصة يوسف على الأخص تتضمن من النكات والفوائد والغرائب ما لا يتضمنها غيرها لما فيها من تفاصيل شائقة ودقائق باهرة بنطاق شاسع لم تدع لممعن فى أمره سؤالا.

وقد قيل فى سبب نزول هذه السورة فى القرآن الكريم هو أن بعض كفار مكة المكرمة لقى بعض اليهود وتباحثا فى أمر محمد ﷺ فقال لهم اليهود: سلوه لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر وسلوه عن قصة يوسف، فنزلت هذه السورة لهذا السبب[1].

وفى النهاية فقد ألقوه فى البئر وصبغوا قميصه بدم عنزة ذبحوها ورجعوا إلى أبيهم بعيون باكية ووجوه حزينة يتشبهون بالمفجوعين.

وقالوا له: يا أبانا لقد أكل الذئب يوسف ونحن خجلون منك ولكننا غير مقصرين فى ذلك.

قال يعقوب: كيف يحصل مثل هذا؟

قالوا: لقد تركناه عند متاعنا وذهبنا لنجمع ماشيتنا وفجأة سمعنا صراخه فذهبنا لنجدته فرأينا الذئب قد أكله وهذا قميصه وقد فجعنا بذلك ونحن شريكون غمك وحزنك فأخذ يعقوب قميص يوسف وكان يضعه على رأسه ووجه ويبكى، ومن شدة حزنه على فراق يوسف فقد عيناه.

(1) الأنبياء حياتهم وقصصهم - العاملى.

وفى نفس اليوم فكر إخوة يوسف بأن يرجعوا إلى المكان الذى كادوا فيه ليوسف ليراقبوا عاقبة أمره فلعله يحاول الرجوع فينكشف الأمر وجاؤوا بالقرب من البئر وأخذوا يترصدون المكان وإذا بقافلة تريد أن تستقى من ذلك البئر، وعندما أدلوا دلوهم تعلق يوسف بالدلو وخرج من البئر، ولما رأوه حيا قالوا له بلهجة تهديد: إما أن تمتثل لأوامرنا وإلا فسنقضى عليك ونمحوا اسمك من كنعان. واصطنعوا الأكاذيب وصوروه عبدا آبقا كذابا عاصيا وباعوه لرئيس القافلة، حيث كانت مسألة بيع الرقيق فى ذلك الزمان من الأمور المتعارفة، وبعدما اشتروه نقلوه إلى مصر ولم يهتموا بكلامه ظنا منهم أنه كاذب، وفى مصر باعوا يوسف لعزيز مصر.

زوجة عزيز مصر والتى تدعى (زليخا) كانت عقيما، وعندما رأت يوسف أعجبت بجماله فقالت لزوجها نتخذه ولدا.

فقال لها عزيز مصر: يجب أن تهتمى برعايته وإذا رأيناه لائقا فسوف نتخذه ولدا، وأوكلوا له عملا فى بيت زليخا، وكان كلما يكبر يزداد جمالا ويزداد حب زليخا وتعلقها به إلى حد وصل الأمر بها إلى أنها أصبحت هائمة فى حبه وكلما كان يبتعد عنها وينصحها بالتعفف كانت تزداد حبا وعشقا، وقد أحسن بالأمر جوارى زليخا وصديقاتها وأخذوا يوجهون لها اللوم، ولكن زليخا عقدت لهن مجلسا وأمرت يوسف بأن يخرج عليهن، فلما لاح لأنظارهن قطعن أيديهن حيث كان فى يد كل واحدة منهن سكينا

وكانت مشغولة بأكل الفواكه فأعطين العذر لزليخا، ولكن يوسف كان مؤمنا لا يقدم على محرم، وبما أن زليخا كانت بعيدة عن الطريق المستقيم فكانت تحاول إقناع يوسف ليلبى لها ما تريد.

وفى يوم من الأيام وعندما كانا فى البيت جاءت لتعرض نفسها على يوسف فأخذت تراوده وتلتمسه بأن يفعل معها المحرم فرفض طلبها وفر من بين يديها فتبعته وتعلقت بقميصه فتمزق القميص، وفى الأثناء دخل عزيز مصر عليهما البيت فشاهدهما لدى الباب، وبدأوا بالتحقيق مع يوسف وزليخا عما جرى وحكم القاضى لصالح يوسف قميصه تمزق من ورائه، وأما زليخا وخشية الفضيحة فإنها حرضت عزيز مصر على أن يسجن يوسف وامتثل العزيز لأمرها وذلك ليسدل الستار على الحادث فسجن يوسف وهو برىء مما نسب إليه ولنأت إلى القرآن الكريم الذى صور هذه الحوادث بأحسن تصوير فنراه يقول فى سورة يوسف:{وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ * وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ * وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاء

مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ * وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ * فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ * يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ * وَقَالَ نسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ * فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ * قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ * فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ} [1].

وأرسلت زليخا عدة مرات إلى يوسف تطلب منه بأن ينزل عند رغبتها وستطلب له العفو من العزيز، وكان يجيبها فى كل مرة بأن السجن أحب إلى مما تريدين أن أفعله، وسوف لن أقدم على عمل غير مشروع.

واستمر الأمر كذلك حتى أصبح يوسف منسيا فى السجن سنين عديدة حيث انشغلت زليخا بأعمالها ونسيت يوسف.

(1) سورة يوسف الآيات: 21 - 35.

وفى يوم رأى أحد السجناء مناما فأخبر يوسف بما رأى، فقال لـه يوسف: لقد ورثت علم تعبير الرؤيا من آبائى الأنبياء أما تعبير رؤياك فإنك سيطلق سراحك من السجن وترجع إلى مزاولة عملك وأرجو منك أن تذكر العزيز بأننى برىء.

وما أسرع أن تحققت رؤيا ذلك السجن كما عبرها لـه يوسف وعاد إلى مزاولـة عملـه كخـادم عند العزيز، ولكنـه نسـى أن يـذكر العزيز بأمر يوسف، ومضت مدة وجاء يوم رأى فيه عزيز مصر مناما بأن سبع بقرات هزيلة تأكل سبع بقرات سمان وسبع سنابل يابسة تأكل سبع سنابل خضراء، وقد عجز جميع مفسرى الأحلام عن تعبير رؤيا العزيز، وعندها تذكر الخادم الذى أطلق سراحه من السجن تفسير رؤياه من قبل يوسف فى السجن فأخبر العزيز بـأن شخصـا فـى السجن اسمه يوسف سبق وأن عبر رؤياه فكان تعبيره صـادقا وتحققت الرؤيـا كمـا فسرها، فتذكر العزيز يوسف واستدعاه إليه، فجاء يوسف ليفسر منام العزيز.

فقال يوسف: سوف تأتى على مصر سبع سنوات تزداد فيها الـنعم والأرزاق وتـأتى بعـدها سـبع سـنوات تجـدب فيهـا الأرض فيجـب أن تـدخروا فـى فتـرة الخصـب وزيـادة الـنعم لسـنى الجفـاف والقحط.

وفرح العزيز عندما أنبأه يوسف بمـا سيحدث وقـال: إنـه ليس بالهين توفير أرزاق الناس لمدة سبعة سنوات وسأل من يوسف هل لـك القـدرة علـى تحمـل مسؤولية ذلـك؟ فقـال يوسـف: إن الصـحف

السماوية جاءت بكافة العلوم وأنا مطلع على كل هذه الصحف.

فقال لـه العزيـز: إذن نطلـب منـك أن تسـاعدنا فـى حـل هـذه المشـكلة لأننـا إلـى الآن لـم نـر القحـط ولـيس لنـا علـم بالأسـرار السماوية.

فقال يوسف: أولا يجب أن يثبت لديكم بـأننى لم أرتكب ذنبا ولم أكن خائنا ولم أستحق السجن وعندها سوف أقوم بتولى هذه المسؤولية كما يرام وإلا فكيف يليق إن يتولى مسؤولية الخزانة شخص أتهم بالخيانة؟

فأعاد عزيز مصر التحقيق فى القضية من الذين كانوا شهودا فـى الحـادث، وهنـا اعترفـت زليخـا بحقيقـة الأمـر وشـهدت ببـراءة يوسف من التهمة بعد أن يئست من تحقيق مأربها معه وقد ندمت على ما فعلت، فعفا عنها العزيز وولى يوسف ولاية مطلقة على خزائن الأرض.

وتولى يوسف زمام الأمور وأمر أن يقوموا بمضاعفة الجهود لإنتاج أكبر محصول زراعة فى السنين السبع الأولى وإن تخزن المحاصيل فى سنابلها كى لا تفسد.

والآن لنرى كيف يصور القرآن الكريم ما ذكرناه بأحسن القول والتصوير:

{وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ * وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ

سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ * قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بِعَالِمِينَ * وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَاْ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ * يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ * قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ * وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ * قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ * وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مِكِينٌ أَمِينٌ} [1].

وفى هذه السنين كان يوسف يفكر بوالده ولكن لطفه ومحبته لكونه نبيا جعلته يفكر فى عدم فضح أمر إخوانه، وكان يعلم أن الرؤيا التى رأى فيها أن الكواكب والشمس قد سجدت له سوف تتحقق كما أرادها وكان يعقوب يفكر أيضا بأمر يوسف ليلا

(1) سورة يوسف الآيات 42 - 54.

ونهارا ويحدثه قلبه بأن يوسف فى كنف البارى سبحانه وأن رؤياه سوف تتحقق فإن رؤيا الأنبياء رؤى صادقة وحقيقية فكان صابرا يرجو تحقق الوعد الإلهى.

واستمر الأمر هكذا إلى أن جاءت سنى القحط والجوع وفى هذه الأثناء مات عزيز مصر ولم يكن هناك من يتولى زمام الأمور من بعده ولا يوجد أليق وأجل من يوسف لهذا الأمر لذا فقد اختير يوسف لخلافة عزيز مصر وقيادة البلاد ووقتها كان القحط والجوع قد بدأت آثاره على منطقة كنعان وحواليها، وقد انتشر خبر توفر الخيرات والأرزاق فى مصر ففكر أولاد يعقوب بالسفر إلى هناك ليشتروا حبوبا لأسرتهم، فسألهم يعقوب: أيكم يريد السفر؟

فأجابوه: كلنا نريد أن نسافر لأننا سمعنا بأن عزيز مصر قد خصص لكل قادم إلى مصر حمل بعير من الحنطة لكى يستطيع الجميع من الحصول على الأرزاق، ونحن أحد عشر أخا فإذا ما ذهبنا جميعا نستطيع أن نحصل على أحد عشر حمل بعير.

فقال لهم يعقوب: ليذهب عشرة منكم وليبقى بينامين بقربى كى لا أبقى وحدى ولأشم منه رائحة يوسف وأأمل أن تأتوا لى بخبر عن يوسف. فتهامسوا بينهم: إن أبانا لا زال يتذكر يوسف.

ووصل أولاد يعقوب إلى مصر ولأن الحبوب كانت شحيحة ونادرة فإن المتعارف كان بأن يطلع على طلب شراء الحبوب بالنسبة للقادمين على مصر العزيز نفسه ليعرف بأن الحنطة إلى

مكان ستصرف وعندما حضر إخوة يوسف بين يدي يوسف عرفهم ولكنهم لم يعرفوه وتظاهر يوسف بأنه لا يعرفهم وسألهم عن أسمائهم وعنوان محل إقامتهم وقال: لقد انتشر بين الناس صيتا طيبا ليعقوب أرجوا إبلاغ سلامى ليعقوب وكافة أهالى كنعان وبعدها سألهم عن عددهم.

قالوا له: فى الحقيقة إنا أحد عشر أخا.

فقال: فلماذا لم تأتوا جميعا؟

فقالوا: لقد أبقى أبونا أخانا الأصغر قربة لكى يشم منه رائحة يوسف.

فسألهم: ومن هو يوسف؟

فأجابوه: إنه الأخ الأصغر لنا وقد أكله الذئب وهو وبنيامين من أم واحدة.

فقال يوسف: حسنا إذا أتيتم ثانية فأتوا بأخيكم بنيامين فإنى أحب أن أرى أبناء العائلة مجتمعين، وأمر أن يبيعوا لهم عشرة حمول من الحنطة وسرا أمر العاملين فى المخازن بأن يضعوا ثمن الحنطة الذى أخذوه من إخوته فى حمولتهم وأخذ إخوة يوسف حمولتهم ورجعوا إلى كنعان وعندما أفرغوا حمولتهم وجدوا ثمنها قد رد إليهم فقالوا لأبيهم: حقا إن عزيز مصر رجل رحيم وجليل القدر لقد أرجع لنا كل نقودنا وأثنى عليك فشكر يعقوب ربه، وبعد مدة أضطر إخوة يوسف للذهاب إلى مصر ثانية لشراء الحبوب

وقالوا: فى هذه المرة يجب أن نأخذ بنيامين معنا وإلا فإن العزيز سوف لا يبيعنا الحبوب، وأقنعوا يعقوب بذلك وأخذوا معهم قليلا من المال وقالوا: إن العزيز لا يطمع فى المال الكثير، ومرة أخرى جاؤوا إلى عزيز مصر فدعاهم إلى ضيافته، واغتنم الفرصة لكى يعرف نفسه على بنيامين خفية وقال له: لا تذكر هذا الأمر لأحد وإذا ما حدث حادث فالزم الصمت وحتى لو اتهمت بشىء وذلك لكى أقوم بتدبير الأمور وجلب أفراد العائلة إلى هنا، وبعد أن انتهى أولاد يعقوب من أخذ حمولتهم وعزموا على المسير نادى المنادى من خلفهم مهلا أيتها القافلة فإن المكيال الذهبى قد ضاع وويل لمن نجده عنده.

فقال إخوة يوسف: نحن لسنا بسارقين.

قالوا: لا مناص لابد من تفتيش الحمولة.

وفتشوا الجميع وتركوا بنيامين آخر من فتشوه فأخرجوا المكيال من حمله، فعندها قال يجب أن يبقى صاحب الحمل موقوفا لدينا ولا يحق له الخروج من هنا وإذا أردتم أن تأخذوا حمله فذلك لكم ولكنه يجب أن يبقى لكى ينال جزاء فعله.

وألح إخوة يوسف إلحاحا شديدا على طلب العفو عن أخيهم وحاولوا عدم إبقائه لأن أباهم ينتظرهم وهو رجل طاعن فى السن ولا يتحمل فراق بنيامين، ولم يجد إلحاحهم.

وجاء أحد اخوة يوسف ليقول ليوسف: أيها العزيز إذا كان

بنيامين قد ارتكب ذنبا فإنى أرجوا أن تحتجزنى محله لأنى أعطيت عهدا لأبى بأن أرجعه فقال لهم يوسف: هذا غير ممكن لأننا لا نعاقب شخصا بجريرة الآخر.

ويئسوا من اصطحاب بنيامين فتركوه ورجعوا إلى أبيهم وقصوا عليه القصة وأظهروا أسفهم على ما حدث.

فقال يعقوب: إننى أعلم أن بنيامين ليس بسارق وإن الذئب لم يأكل يوسف والله أعلم بحقيقة ما يجرى.

وبعدها كتب يعقوب رسالة إلى عزيز مصر قال فيها: إننى يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل وإننا نؤمن بالله وباليوم الآخر، أما أنا فقد أصبحت شيخا ومنذ مدة طويلة فقدت ولدى يوسف وقد ابيضت عيناى من الحزن عليه والآن أخذت منى بنيامين وأنا أعلم أن بنيامين لم يسرق المكيال لأنه لا يوجد فى أسرتنا سارق، وأرجو منك أن لا تكون سببا فى زيادة حزنى وهمى لأنى لازلت أبحث عن يوسف وأنا فى وضعى المؤلم هذا أرجو منك أن ترد لى بنيامين لتنال رضى الله والسلام.

وقال يعقوب لأولاده: اذهبوا جميعا برسالتى هذه وسلموها إلى العزيز وهو رجل طيب القلب، وقلبى يعلمنى بأنكم سوف تجدون يوسف بالإضافة إلى بنيامين. وجاء إخوة يوسف برسالة أبيهم إلى العزيز وقالوا له: إن أبانا تحمل الكثير من الحزن والأسى لفراق يوسف وهو لا يستطيع أن يتحمل فراق بنيامين.

فقال لهم العزيز: إذا كان الأمر كما تقولون فلماذا لا تبحثون عن يوسف؟

قالوا: إن الذئب أكل يوسف فكيف نعثر عليه إننا عاجزون عن ذلك.

فقال العزيز: أنا لا أظن أبدا أن الذئب قد أكل يوسف وأعتقد أن يوسف سقط فى البئر ثم بيع إلى تجار الرقيق.

وهنا ظن إخوة يوسف بأن بنيامين قد أفشى سرهم فاستولى عليهم الخوف وقالوا: لا علينا بذلك إن قلوبنا تحترق لحال أبينا.

فقال لهم يوسف: آلا ترون يوسف فهل تفرحون لذلك أو تتذكرون رؤياه وتستهزئون به من جديد، فاصفرت وجوههم من الخجل وقالوا: إذا ما وجدنا يوسف فإننا سنفرح ولكن الله قدر أن نفقده.

فقال لهم العزيز: إذا كنتم تفرحون فى لقاء يوسف فانظروا إلى وجهى، عندها كشف عن رأسه فتجسدت أعينهم ملامح يوسف فعرفوه وكأنهم أفاقوا من رقدتهم وخجلوا خجلا شديدا إلى حد فقدوا شعورهم.

أما يوسف فقد أخذ بتسكين روعهم وقال لهم: إن إرادة الله لا تتبدل وأنا بدورى أعفو عنكم؛ والآن اذهبوا إلى أبى بهذا الخبر السار وخر إخوة يوسف إلى الأرض ساجدين عندما رأوا عظمة يوسف وصفحه عما اقترفوه بحقه.